

مختصر ابن كثير

105 - ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون .

106 - إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين .

107 - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين .

يقول تعالى مخبرا عما حتمه وقضاه لعباده الصالحين من السعادة في الدنيا والآخرة ووراثته الأرض في الدنيا والآخرة كقوله تعالى : { إن الأرض ﷻ يرثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين } وقال : { إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد } وقال : { وعد ﷻ الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم } وأخبر تعالى أن هذا مسطور في الكتب الشرعية والقدرية وهو كائن لا محالة ولهذا قال تعالى : { ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر } . قال مجاهد : الزبور الكتاب وقال ابن عباس والحسن : { الزبور } الذي أنزل على داود و { الذكر } التوراة وعن ابن عباس : الذكر القرآن . وقال سعيد بن جبير : الذكر الذي في السماء وقال مجاهد : الزبور الكتب والذكر أم الكتاب عند ﷻ واختار ذلك ابن جرير C وكذا قال زيد بن أسلم هو الكتاب الأول وقال الثوري : هو اللوح المحفوظ . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الزبور الكتب التي أنزلت على الأنبياء والذكر أم الكتاب الذي يكتب فيه الأشياء قبل ذلك أخبر ﷻ سبحانه وتعالى في التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السماوات والأرض أن يورث أمة محمد صلى ﷻ عليه وسلّم الأرض ويدخلهم الجنة وهم الصالحون (رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس) . وقال ابن عباس { أن الأرض يرثها عبادي الصالحون } قال : أرض الجنة وقال أبو الدرداء : نحن الصالحون وقال السدي : هم المؤمنون (وقال أبو الدرداء : الأرض هي الشام والصالحون : الأمة المحمدية) . وقوله { إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين } أي إن في هذا لقرآن الذي أنزلناه على عبدنا محمد صلى ﷻ عليه وسلّم { لبلاغا } لمنفعة وكفاية { لقوم عابدين } وهم الذين عبدوا ﷻ فيما شرعه وأحبه ورضيه وآثروا طاعة ﷻ على طاعة الشيطان وشهوات أنفسهم . وقوله : { وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين } يخبر تعالى أن ﷻ جعل محمدا صلى ﷻ عليه وسلّم رحمة للعالمين أي أرسله رحمة لهم كلهم فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة ومن ردها وجدها خسر الدنيا والآخرة كما قال تعالى : { ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة ﷻ كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار } .

وقال تعالى في صفة القرآن : { قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم

وَقَرَّ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمَى أَوْلَئِكَ يَنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ } . وَقَالَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ عَلَى الْمَشْرُكِينَ قَالَ : " إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ لِعَانًا وَإِنَّمَا بَعَثْتُ رَحْمَةً " وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ : " إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مَهْدَاةٌ " (أَخْرَجَهُ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا : وَسُئِلَ الْبُخَارِيُّ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ : كَانَ عِنْدَ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ مَرْسَلًا وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَمْرِو مَرْفُوعًا : " إِنْ أَفَّ بَعَثْنِي رَحْمَةً مَهْدَاةً بَعَثْتُ بِرَفْعِ قَوْمٍ وَخَفَضِ آخَرِينَ ") وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ : " إِنِّي رَحْمَةٌ بَعَثْنِي اللَّهُ وَلَا يَتُوفَانِي حَتَّى يَظْهَرَ اللَّهُ دِينَهُ لِي خَمْسَةَ أَسْمَاءَ : أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَأَنَا .

الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِكَ الْكُفْرَ وَأَنَا الْهَاشِرُ الَّذِي يَحْشُرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمَيْ وَأَنَا الْعَاقِبُ " . وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : " أَيُّمَا رَجُلٍ سَبَبْتَهُ فِي غَضَبِي أَوْ لَعَنْتَهُ لَعْنَةً فَإِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ آدَمَ أَغْضَبُ كَمَا تَغْضَبُونَ وَإِنَّمَا بَعَثْنِي اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ فَأَجْعَلْهَا صَلَاةً عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَلَفْظُهُ عَنْ حَذِيفَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ فَقَالَ . . . فَذَكَرَهُ) فَإِنْ قِيلَ : فَأَيُّ رَحْمَةٍ حَصَلَتْ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ ؟ فَالْجَوَابُ مَا رَوَاهُ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ جَرِيرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ } قَالَ : مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ كَتَبَ لَهُ الرِّحْمَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ عَوفِيَ مِمَّا أَصَابَ الْأُمَمَ مِنَ الْخُسْفِ وَالْقَذْفِ